



دراسات في السردانية العربية

الرقم الدولي الموحد للطباعة: ٢٦٧٦-٧٧٤٠



جامعة الخوارزمي

رواية «حين تركنا الجسر» لعبد الرحمن منيف (دراسة في الأنا والغير)

مهرداد آقائي البريد الإلكتروني: m.aghaei@uma.ac.ir
أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة المحقق الأردبيلي، أردبيل، إيران (الكاتب المسؤول)
عفاف داغري البريد الإلكتروني: afafdagery@gmail.com
ماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة المحقق الأردبيلي، أردبيل، إيران.

الإحالة: آقائي، مهرداد؛ داغري، عفاف، خريف و شتاء (٢٠١٩-٢٠٢٠). رواية حين تركنا الجسر لعبد الرحمن منيف؛ دراسة في الأنا والآخر، دراسات في السردانية العربية، (١)١، ١٨٦-٢١٠.

دراسات في السردانية العربية، خريف و شتاء ٢٠١٩-٢٠٢٠، السنة ١، العدد ١، صص. ١٨٦-٢١٠.

تاريخ الوصول: ٢٠١٩/١٢/١ تاريخ القبول: ٢٠٢٠/١/٢٨

© كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الخوارزمي والجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها.

الملخص

موضوع «الأنا والغير» من الموضوعات التي نريد أن نُحلّلها في رواية «حين تركنا الجسر» لعبد الرحمن منيف. سارتر و دريدا من الذين عندهم إسهام في هذا المجال. موضوع «الأنا والغير» هو فرع قد نشأ أصلاً في أحضان الفلسفة وترعرع وبلغ أشده في ظلالها، ثم جاءت فروع معرفية أخرى بعد ذلك، كي تنعم بهذه الظلال، وتساهم في سقاية هذه الشجرة الوارفة المتألقة لعلم الجمال وأن تضيف إليها فروعاً جديدة. ما يكن نمو هذه الشجرة الفلسفية طبيعياً، ولايسير في حقب عدة عبر التاريخ، فكثيراً ما

المقدمة:

لقد كان علم النفس منذ ظهوره يجد ملاذاً آمناً وممتعاً له في ظلال علم الفلسفة والعديد من الأفكار التي تناولها الباحثون في علم النفس بشكل علمي في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر حتى الآن، لهذا العلم جذور ضاربة بقوة في أعماق التربة الفلسفية. هذا المقال جهد متواضع في موضوع «الأنا والغير» ويحاول وصف النفس وباطن الأشياء والشخصيات في رواية «حين تركنا الجسر». إن للسرد جذوراً في تربة الحياة البشرية الخصبة وهو في حالة نمو مستمر منذ الطفولة حتى الشيخوخة كشجرة ذات فروع متعددة. يتعرف الإنسان منذ نعومة أظفاره على السرد الشفوي من خلال كلمات الأم التي ترددها لتنويم طفلها كما يتعرف عليه من خلال القصص والأساطير التي يرويها الجدّ والجدّة. إنّ السرد موجود منذ بداية الحياة حتى نهايتها، وهو يتشابه مع تفاصيل الحياة بشكل كامل، فولادة الطفل هي بداية حكاية سردية والإنسان يتأثر من هذه السرديات في حياته وهويته ولكن هناك آراء مختلفة أخرى تعتقد أن السرد وليد للقرن العشرين «دراسة السرد أو الدراسات السردية ولبدة القرن العشرين، وبوصفها موضوعاً يحظى بأهتمام مركزي في الدراسات الأدبية» (مارتن، ١٩٩٨: ١٥). عبد الرحمن منيف يتأثر في آثاره بثقافة المجتمع، والثقافة في المجتمع العربي ثقافة تتراوح بين البدو والحضر، بحيث يعتبر الإنسان هو المعني بالهوية الثقافية وهو المعني بهذه الحياة، وهو محور وأساس للهوية الثقافية، بحيث يكون الاعتدال والتوازن كفيلاً بالحفاظ على الحياة الطبيعية للفرد.

عبد الرحمن منيف في روايته يؤكد على «زكي نداوي»، شخصية البطل الذي ترعرع في الحوادث، وقد تميز فكره بنزعة إنسانية واضحة، حيث تميز هذا الفكر بالتركيز على وحدة الإنسان وعلى تكامل الإنسان والطبيعة، كما ركّز من جهة أخرى على اعتبار أن الإنسان هو الوسيلة لتحقيق القيم المطلقة في العالم. «الأنا والغير» من الموضوعات الفلسفية التي تظهر على بعض النصوص وتكمن في مضامينها، بخضوعها أو دون خضوعها لأي قواعد أو قوانين المنظور والبرهان وتؤثر في النفس بالغرض الذي عملت من أجله. فهي النظرة الشاملة التي تجمع بين الجانبين الذاتي والظاهري وتترك أثراً معيناً في نفس الشخصية في الرواية لتؤدي إلى إصدار أحكام قيمة على أعمال شخصية البطل في الرواية.

إن موضوع «الأنا والغير» منذ قديم الزمان، لم يكن ناشئاً عن الإرادة، بل هو قوام إنسان حر يعيش في عالم التأمّلات وآفاق اللاوعي، ويرسم ملامح الأشياء ولايرسمها كما هي، فكان يتزك المحاكاة ولايهمهم بالأشياء المرئية بشكلها الظاهري، فاندفع من معنى عميق في تصوير الطبيعة الإنسانية والروح البشرية الغامضة في مجال الباطن، فحاول الروائي أن يشكل عالماً بعناصر الرواية، حتى يبيّن للقارى ما هي عناصر الكون والوجود والنفس في شخصية الرواية. وكثيراً ما يطرق الراوي تجارب شعورية متخيلة، يستوحىها من أحلام يقظته وتصوراته، فهو عندما يرسم صورة تلقائية وانفعالات لإرادية ينطلق ذهن القارئ من المخيلة وأشكال متناغمة إلى حقائق الوجود. والراوي يروى ما يكمن في الأشياء، وما يظهر منها هو شيء جديد بأمس الحاجة إليه آنذاك. «هناك اتفاق سري بين الأجيال الماضية والأجيال الحالية وكان البعض ينتظرننا على هذا الكوكب الأرضي» (بنيامين، ١٣٨٩: ١٥٢).

١.١. خلفية البحث

هناك مقالات وكتب كثيرة في هذا المجال ولكن لم نجد مقالاً ذا صلة مباشرة بنفس العنوان إلاّ عدداً كما جاء في التالي:

١- رسالة بعنوان «دريدا والسؤال عن الغير» للطالب نيما توكلى وبإشراف الدكتور على نقى باقرشاهی في جامعة الامام الخمينی(ره) بقزوین. هذه الرسالة تنوي تحليل الغير في آثار دريدا، وهي حافلة بالمضامين الأخلاقية و القضايا الفردية وتتكلم عن بعض الغموضات الفلسفية التي تجري في حياة كل شخص.

٢- رسالة بعنوان «الغير في رواية جمعة أو حایل المحيط الهادي أثر ميشل تورنيه» للطالبة سمیه نسابی وبإشراف الدكتور سيدجمال موسوی بجامعة تشمران الأهواز. هذه الرسالة يدور محورها الرئيس حول قصة راينسون كروزو الذي عاش في جزيرة وحيداً واشتغل بنفسه وبعد فترة مع حضور الغير تتغير فكرته للحياة.

٣- رسالة بعنوان «الهوية والغير في آثار فيروزه دوما» للطالبة سمیه ملكيان وبإشراف الدكتور أمير علي نجومیان بجامعة طهران. هذه الرسالة تقوم بدراسة مفهوم الأنا والغير في قصص

فيروزه دوما من منظور التحليل النفسي والاستعمار والنسوية والاجتماعية، وساهم في النهاية في قراءة لفهم هوية الهجرة.

٤- أطروحة بعنوان «النص الموازي في أعمال عبد الرحمن منيف الأدبية» للطالب محمد رشدي عبد الجبار دريدي وإشراف الدكتور عادل الأسطة بجامعة النجاح الوطنية في فلسطين. قامت هذه الأطروحة بدراسة آثار عبدالرحمن منيف الأدبية دراسة جامعية وجاءت فيها آراء نقدية بأدب منيف من حيث المكان والزمان والسرد والحوار واللغة.

٥- مقالة «صورة المثقف العربي في روايات عبد الرحمن منيف» بقلم الدكتور صالح ولعة من الجزائر. هذا المقال يتكلم عن شخصية المثقف العربي الذي يحضر في معظم روايات منيف، وهو دائماً في حالة صدام مع السلطة. حاول منيف أن يبرز من خلال رواياته دور المثقف والمسؤولية الملقاة على عاتقه اليوم.

٦- مقالة «صورة المثقف في روايات عبد الرحمن منيف» بقلم الدكتور عبد الرزاق اسطيوطو في صحيفة المثقف. هذا المقال يقوم بتوصيف المثقف وكما يعتقد صاحب المقال أن روايات منيف حافلة ببطولة المثقف الذي دخل مرحلة العد العكسي التي لها الوعي النضالي التابع من الإحساس بالظلم المسلط على الإنسان العربي الشرقي من طرف الأنظمة السياسية ذات الطبيعة الاستبدادية.

٧- مقالة «الهزيمة والمثقف المسخ وقفة مع شخصية رواية حين تركنا الجسر» بقلم الدكتور سمير الشريف من مصر. هذا المقال يقول: جعل الكاتب السعودي عبدالرحمن منيف لنفسه مكاناً لا بأس به في الرواية العربية المعاصرة، رواية «حين تركنا الجسر» اتت متميزة عن أعماله الأخرى وهي محاولة جديدة جاءت في شكل آخر.

٨- مقالة «فضاء المقهى في الروايتين الفارسية والعربية؛ أحمد محمود وعبدالرحمن منيف نموذجاً» بقلم الدكتور يداالله ملايري ومجتبى عمرانى بور في مجلة إضاءات نقدية في الأدبين العربي والفارسي بجامعة كرج. يحاول هذا المقال إلقاء الضوء على فضاء المقهى في روايات أحمد محمود وعبدالرحمن منيف في دراسة مقارنة أو موازنة تهدف إلى فتح نافذة للحوار بين المجتمعين الإيراني والعربي بغية ترسيخ قيم الانفتاح والتعايش والتعددية، كما يبرر اختيار

الكاتبين بوصفهما مهتماً بهذا الفضاء النصي، وكذلك مهتماً بتلك القيم التي تؤمن بها الدراسة. ويهتم الروائيان بالمقهي اهتماماً بالغاً.

٢. عبدالرحمن منيف

ولد عبد الرحمن منيف في عمان - الأردن عام ١٩٣٣ من أب سعودي ومن أم عراقية. درس في الأردن إلى أن حصل على الشهادة الثانوية ثم انتقل إلى بغداد والتحق بكلية الحقوق عام ١٩٥٢ ثم انخرط في النشاط السياسي هناك، انضم إلى حزب البعث العربي الاشتراكي إلى أن طرد من العراق مع عدد كبير من الطلاب العرب بعد التوقيع على حلف بغداد عام ١٩٥٥ لينتقل بعدها إلى القاهرة لإكمال دراسته هناك. في عام ١٩٥٨ انتقل إلى بلغراد لإكمال دراسته فحصل على الدكتوراه في اقتصاديات النفط لينتقل بعدها إلى دمشق عام ١٩٦٢ ليعمل هناك في الشركة السورية للنفط ثم انتقل إلى بيروت عام ١٩٧٣ ليعمل هناك في مجلة البلاغ ثم عاد إلى العراق مرة أخرى عام ١٩٧٥ ليعمل في مجلة النفط والتنمية. غادر العراق عام ١٩٨١ متجهاً إلى فرنسا ليعود بعدها إلى دمشق عام ١٩٨٦ ويقوم فيها حيث كرس حياته لكتابة الروايات، تزوج منيف من سيدة سورية وأنجب منها، عاش في دمشق حتى توفي عام ٢٠٠٤، وبقي إلى آخر أيامه معارضاً للإمبريالية العالمية، كما اعترض دوماً على الغزو الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣ رغم أنه كان معارضاً عنيفاً لنظام الرئيس العراقي صدام حسين.

كان منيف أحد أهم الروائيين العرب في القرن العشرين؛ حيث استطاع في رواياته أن يعكس الواقع الاجتماعي والسياسي العربي، والنقلات الثقافية العنيفة التي شهدتها المجتمعات العربية خاصة في دول الخليج العربي أو ما يدعى بالدول النفطية، ربما ساعده في هذا أنه أساساً خبير بترول عمل في العديد من شركات النفط مما جعله مدركاً لاقتصاديات النفط، لكن الجانب الأهم كان معاشته وإحساسه العميق بحجم التغيرات التي أحدثتها الثورة النفطية في صميم وبنية المجتمعات الخليجية العربية. يعتبر منيف من اشد المفكرين المناوئين لأنظمة كثير من الدول العربية (منيف، ١٩٩٣: ١٣).

كان لمنيف اتجاه وأسلوب خاص في كتابة الرواية يرتبط بالتحويلات التي حدثت عالمياً، وقد شكل هذا الإتجاه علاقة خاصة بالهوية، وقد تشكل إتجاه الهوية و«أنا والغير» بجهود شخصية البطل

«زكي نداوي» ويكشف الراوي موضع وهدف استخدام الأنا والغير في كل مجتمع ونرى أن العلاقة بين التحليل النفسي والأدب علاقة عضوية، باعتبار أن التحليل النفسي للأدب يكشف عن اللاوعي في الأخير، وأن الأدب يكشف عن المكونات النفسية وهنا في هذه الرواية يكشف منيف عن حالات المجتمع ويربطها بحالات شخصية البطل في الرواية وهكذا القارئ يستطيع بالتحليل الروائي أن يكشف عن مكتومات الحياة الإجتماعية.

٣. ملخص رواية «حين تركنا الجسر»

هذه الرواية قصة رجل اسمه «زكي نداوي» وهو كان في أيام شبابه في الحرب ومع أصدقائه في الجيش صنعوا جسراً ولكن بعد مدة أتت أوامر من رئيسهم بأن لا يستطيعوا أن يستعملوا الجسر للوصول إلى أهدافهم في الحرب وحرزوا جميعاً، وزكي نداوي تأثر بهذا الموضوع وأثر هذا على ذهنه وهويته وهو لم ينس ذلك الهدف وبعد سنين قال في نفسه: هو يستطيع أن يأخذ هدفاً آخر في حياته وتكوّن الطير في ذهنه وهي صارت هدفه وهو يركض وراء الطير حتى يصيدها ولكن لا يستطيع وفي هذه الفترة التي يريد اصطياد الطير، كلبه «وردان» كان معه دائماً وهو الذي لا يخونه وزكي نداوي يتكلم معه. المكان في هذه الرواية هو المستنقع و في أثناء هذه الحوادث في المستنقع تعرّف على رجل كان صياداً وهو كبير السن و كان يساعده في اصطياد الطير الخيالية وزكي نداوي كان متشوش الذهن والفكر وهو ضائع بين الماضي والحال.

٤. الأنا والغير

الإنسان كائن اجتماعي وهذا يعنى ويقتضى التفاعل مع الآخرين أي مع الغير. وإذا كان التفاعل مع الأشياء وتمييز النفس عنها لا يكاد يطرح مشكلة، فالأمر خلاف ذلك فيما يخص الغير، لأنه ببساطة ذلك الشبيه المختلف: إنه شبيه مادام يشاطره كثيراً من الصفات العامة النفسية، لكنه لا يفتأ يؤكد ضمن هذا التشابه اختلافه عني في مؤهلاته واختياراته ورغباته وفي هذه الرواية يؤكد الراوي على الأشخاص وما يؤثر على هوية الأشخاص كما نشاهد في الرواية «زكي نداوي» يتكلم ويقول مع نفسه؛ وهذه النفس الباطنية هي الغير التي هو يتأثر منها ويشاورها في أموره ويقول: «اصرخي يا بنات آوى، اصرخي بفرح الأبالة حتى تتشقق مؤخراتك التنة، فالهزة الذي يمتلىء به الهواء لم يعد يهمني» (منيف، ١٩٧٦: ٧).

زكي نداوي يكلم نفسه ويلوم نفسه لأنه لم يصل إلى أملة وهو يائس جداً وهذه النفس التي يكلمها هي «الأنا» الذي ما يراه أحد إلا هو وكلمة «الأنا» هي الهوية التي تشكلت طول حياته وارتباطه مع الغير والأشخاص الآخرين. هذه الاتصالات تقع الأشخاص في الفلسفية للغير، فلقد عرفه سارتر: بأنه الآخر و«الأنا ليس الأنا» ويتخذ مفهوم الغير في التمثيل الشائع معنى تنحصر دلالاته في الآخر المتميز عن الأنا الفردية أو الإجتماعية (نحن) وتكون أسباب هذا التميز إما مادية جسمية، وإما حضارية، أو فروعاً اجتماعية أو طبقية، ... إلخ، ومن هذا المنطق ندرك أن مفهوم الغير في الاصطلاح الشائع يتحدد بالسلب، لأنه يشير إلى ذلك الغير الذي يختلف عن الذات ويتميز عنها ومن ثمه يمكن أن تتخذ منه ذات المواقف بعضها ايجابي (كالتأخي، والصدقة، ... الخ): وأخرى سلبية (كالامبالاة والعداء ... الخ). يقول دريدا: «إن الظاهر والباطن والحضور والغياب والكتابة والكلام ليست هي النهاية في الحياة» (دريدا، ١٩٨٢: ٩٥). هكذا يتضح أن معنى الغير والآخر واحد في التمثيل الشائع وهذا ما يتيح لنا فرصة استباق هذا المفهوم في دلالاته.

اعتمد الراوي على امكانياته الذاتية، لأنه يريد أن يصل إلى ذلك اليقين العقلي الذي يتصف بالبدهة والوضوح والتميز... وفي الرواية يقول زكي نداوي: «ظلت أصوات بنات آوى تنبعث في ظلمة أول المساء، كانت أصواتها فجأة وأقرب إلى ولولة عابثة سألت نفسي: أهي حزينة؟ ساخرة؟ صرخت:

لا يمكن أن أتحوّل إلى أبله.

قلت لنفسي: زكي نداوي هش كالقصب» (منيف، ١٩٧٦: ٨).

زكي نداوي بكلامه يبيّن لنا أنّ هويته متشوشة جداً وهو لا يدري ما هو الكلام الصحيح الذي يختاره في نفسه. الاعتراف بالغير لا يأتي إلا من خلال قوة الحكم العقلي حيث يكون وجود الغير وجوداً استدلالياً.

٤.١. الهوية وعلاقتها بالأنا

إن الهوية لغويًا « مشتقّة من الضمير ومعناها صفات الإنسان وحقيقته، وأيضاً تُستخدم للإشارة إلى المعالم والخصائص التي تتميز بها الشخصية الفردية» (جماعة، ٢٠١٢: ٢٣). وأمّا في الاصطلاح

فَتُعَرَّفُ الهويَّة «بأنها مجموعة من المُميَّزات التي يَمْتَلِكها الأفراد، وتُساهم في جعلهم يُحَقِّقون صفة التفرُّد عن غيرهم، وقد تكون هذه المميَّزات مشتركة بين جماعة من النَّاس سواءً ضمن المجتمع، أو الدَّولة. ومن التَّعريفات الأخرى لمصطلح الهويَّة أنها كلُّ شيء مشترك بين أفراد مجموعة محدَّدة، أو شريحة اجتماعيَّة تُساهم في بناء محيط عام لدولة ما، ويتمَّ التَّعامل مع أولئك الأفراد وفقاً للهويَّة الخاصَّة بهم» (المصدر نفسه: ٢٣). وللهويَّة ثلاث وظائف:

(أ) الوظيفة المعنويَّة: هي عملية إنتاج الذات الفردية والجماعية وتأكيدهما وإعادة ترتيب علاقتها بمحيطها من أجل إثبات وجودها وتحقيق الاستقرار.

(ب) الوظيفة الإدماجية: أن تسعى الهوية إلى دمج وتكييف الأفراد مع محيطهم وأوضاعهم و وضعياتهم المختلفة.

(ج) الوظيفة القيمية: الهوية تستنبط قيمها من المعايير العليا للمجتمع والجماعة، وعندما يحصل الانسجام والمحيط، تشكل آنذاك هوية مرغوب فيها وذات معنى وقيمة للآخرين من أجل كسب الاعتراف بها في الفضاء العام (جماعة، ٢٠١٢ : ٢٥).

يسعى الروائي أن يبيِّن للقارى أهم وظائف الهوية في هذا المقام، وهي الوظيفة الإدماجية للفرد داخل مجاله ومجتمعه خصوصاً في المجال الحضري باحتوائه على شبكة العلاقات المتباينة والقائمة على أساس المنفعة والسطحية. زكي نداوي يرى في الماضي يعبر من الجسر، وهو الآن استكملت هويته ولم يكن ضائعاً في الحياة وهو يستمر حتى يشفي ألمه في الحياة. حيث يقول الراوي: «والحزن يُولد فجأة دون أن يفكر فيه الإنسان. وجدتُ نفسي حزيناً لدرجة لا أتذكر أنى كنت هكذا. ارقميتُ على الأرض. لم تكن شجرةً الجوز تبعد عنى أكثر من عدة أمتار. كانت مبلة بلونها البني الرمادي الذي اكتسبته من المطر، وقوس قزح أكثر من مجرد ألوان تألُق اللون الأحمر، البرتقالي، الأزرق... بدأ الأخضر طاعياً لدرجة تَصَوَّرْتُ أنَّ جسرنَا كان بنفس اللون عندما وضعنا فوقه الأغصان. قلت بصوت صاخب: الربِّ... الربِّ بعد أن يبنى جسره، بعد أن تعبَّه الغيوم الصغيرة إلى مكان بعيد، وهو يبشر الناس بالصحو... هذا الربِّ، ألا يهدم جسره؟ ألا ينسفه؟» (منيف، ١٩٧٦: ٩٧).

ومن خلال التَّأثيرات الوجودية تحاول الرواية الوصول إلى نفس الإنسان من خلال ذاته وعن طريق المعاناة المستمرة والجدل المتواصل. «إنَّ القيم الأساسية و وسائل التفكير على الرواية

ذات طابع وجودي، ثم إن العلاقة العاطفية التي تستمر خلال الرواية علاقة مفهومة من خلال المصطلحات الوجودية» (الخطيب، ١٩٩١: ١٠٧) ومن نموذج هذه الرواية: «قلت لنفسى وأنا أشق الزحام، أريد أن أخلص من آخر مظاهر البشر، الناس في المدينة يمتثلون رضى. الضحكات على الأفواه مثل مزاريب الشتاء. الفرغ اللزج يتقلب على نار دافئة، ولا يلبث أن يتحول إلى نشيد ملعون» (منيف، ١٩٧٦: ١١٣). ونرى زكي نداوي يفر من الناس ويبتعد عن ارتباطه مع الغير وهو الآن وحده وصديقه الوحيد هو وردان؛ كلبه الذي لا يخون فيه وهو أقطع اتصاله مع الغير حتى يعيش لنفسه، حتى لا يستطيع أحد أن يعطيه أوامر وهو يصير رئيساً لنفسه ويعمل ما يشاء ولا أحد يستطيع أن يتدخل في أمره.

٤.٢.٤ الرواية وعلاقتها بالآنا والغير

تقف الدراسة على الرؤية السردية في أعمال البطل «زكي نداوي» حيث يُعدُّ موضوع الرواية السردية من أهم الموضوعات التي يهتمُّ به النقاد والدارسون، ففي الأدب تكون الأحداث والوقائع في توصيفات واقعية، فعلى سبيل المثال: «وتذكرت: في إحدى الليالي بدا والظلمة تحيط بكل شيء كأنه النهر.. لمع في ضوء القمر.. قلت له برجاء: «اختف أيها العنكبوت يجب أن لا يراك أحد بهذا الزهو الناصع» وأغمضت عيني كأنى في حلم، لكي لأراه جميلاً هكذا ناديت على ذياب وقلت له برجاء: أنت يا ذياب تعرف كيف تغنى. غن له. يجب أن تغنى جيداً فهذا الحصان الذى تراه أمامك ألأن يعادل عشرات رجال... قلت لنفسى: آه لو أن الناس رأوا الجسر...» (منيف، ١٩٧٦: ١١٤). يكون السارد محدود المعرفة على شخصية الرواية، فيصف لنا ما يراه ويسمعه فقط وهو ينظر إلى شخصية البطل وهي تحدث الأحداث في الرواية والقارئ ينجذب إلى الرواية حتى يفهم ما وراء هذه القصة وهدفها. أشار عنوان الرواية إلى التحرر من كل عقد، «لأن الحرية هي الوجود الإنساني ذاته، أي أنه لا إنسانية دون الحرية» (ماكوري، ١٩٨٢: ٢٠٠). قام عبدالرحمن منيف في كتابته بدراسة دقيقة وجادة لأهم عنصر من عناصر البناء للقصة العربية وهي الهوية وأهميتها في المجتمع.

رواية «حين تركنا الجسر» متأثرة من ارتباط شخص بشخص آخر وهذا الإرتباط يؤثر على شخصية البطل في الرواية وهو تأثير ايجابي ولكن هذا الإرتباط لم يؤثر على شخصية البطل تأثيراً

سلبياً وزكي نداوي في هذه الرواية لم يحصل على هدفه وهو العبور من الجسر ويتأمل ويتشوش ذهنه ولم يستطع أن يحصل على الارتباط الأيجابي مع الغير. الجسر هو صلة بين شخصين وهذه الصلة تؤثر على نوعية الهوية الباطنية في الشخص ومنيف يؤكد على هوية الأشخاص في المجتمع الذي تتشكل فيه هوية الإنسان، وهذه الهوية تؤثر على مستقبل الأشخاص. هوية البطل «زكي نداوي» متشوشة وهو يرى أشياء في ذهنه ويتمنى أن يصل إليها ولكن هي خيالية في ذهنه.

يرى زكي نداوي طيراً خيالية في ذهنه ويريد أن يصل إليها ويظنّ بأنّه إذا يصيد هذه الطير سيصل إلى كل أهدافه وهو يريد أن يكمل هويته الضائعة ولكن هو متشوش الهوية كما قال في الرواية «وأنتذكر لما أصبحنا بعيدين تماماً، قلتُ ونايف يسمعي: أيها الإله المعبود هل ترضى أن تتركه؟» (منيف، ١٩٧٦: ١١٤).

٤.٣. زكي نداوي والأنا والغير

يعتقد الروائي أنّ الهوية جزء من الذات وهي تنمو على طريقها وفي بعض الأحيان الإنسان لا يدري في أي زمان ومكان ينمو. ولاشك أن الراوي هو الذي يبدع روايته ولكن طبيعة الإبداع السردية التخيلية تدفعه إلى بناء مجتمع روائي وهمي بالمجتمع الخارجي الحقيقي، وتجبره على ألا يحرك هذا المجتمع بنفسه، بل يتركه للسارد ليتصرف فيه كما يشاء الروائي، مما يجعل السارد جزءاً من اللعبة الروائية التخيلية ويحدّد مستوى الرواية الفني تبعاً للمكان الذي وضع فيه الروائي سارده ومن أمثلة الرواية: «وفكرت، لو أردت ان أسجل فروقاً أساسية بين الإنسان والطير، فماذا أسجل؟ الشجاعة؟ المكر؟ القدرة على التصرف؟ قلت بسخرية: الإنسان في كل أنحاء الدنيا يحاول اكتساب أهم صفات الطير إلا في هذه الأرض (منيف، ١٩٧٦: ١٧٥). يواصل بطل الرواية كلامه ويقول: «ماتفعله المستحيل... يا وردان... وهذه الأرض التي نعيش فوقها أرض الخراب! وفكرت من جديد، الإنسان في الاماكن الأخرى يكتسب من الطير ذكاءه، قدامه، نظامه... النظام المجنون الذي يسيطر على حركاته وتجعله رائعاً... الإنسان هناك أقدر على التكيف مع الطبيعة... هنا حالة من الرخاوة والبلاهة... والبلادة» (المصدر نفسه: ١٧٥).

إنّ الأحداث في المكان هو الإطار المحدد لخصوصيته، والحدث لا يكون في لامكان بل في مكان محدد، نرى بأن البطل هو أحياناً يتعب من أعماله ويريد لنفسه الموت وهو يضيع بين الحال والماضي وآماله. اللغة هي التي تفتح لنا العالم واللغة تعتقد بالوجود كما يقول الراوي في بعض الأحيان ويستخدم في كلام البطل الحزن والألم، كما يقول زكي: «قلت لأقنع نفسي بالفكرة: أفتح عيني في السابعة، إذا لم أزد الذهاب إلى الصيد، أغلق عيني، أفكر بعقل مشوش يضيع بين اليقظة والنوم، أتمنى لو كنت نائماً، في السابعة والربع أنهض بعد أن أمد في الهواء يدين رخوتين في محاولة للاقتناع أن ما أفعله ضروري، وإن الرياضة تنشط الدورة الدموية» (منيف، ١٩٧٦: ١٧٦). خلق البيئة التي تجري أحداث القصة فيها ويتكوّن نسيجها، هي من أهم مواضع الرواية. يريد نداوي أن يجعل قانوناً خاصاً لأهداف كل شخص في المجتمع قائلاً: «الحياة منذ ساعة الميلاد وحتى اللحظة الأخيرة، حالة تمطي وتناوب، ولا شيء غير ذلك!» (المصدر نفسه: ١٧٦).

٤.٤. الصياد وأنا والغير

يروى الروائي روايته على شخصية البطل وارتباطه مع الصياد، المجتمع، والمستنقع، والطير الخيالي، وردان، والجسر في الماضي... البطل زكي نداوي مغموم ومتشوش الذهن لأنّ في الماضي كان له هدف وهو العبور من الجسر الذي صنعه مع أصدقائه في الحرب، ولكن أنت أوامر ولم يستطيعوا أن يعبروا من الجسر، وهو يتألم كثيراً وتؤثر هذه الحادثة على حياته وهويته. والغير هو مصدر الفهم والتجربة، فترى «الجسر» هو الغير الذي أراد البطل أن يصل إليه، ولكن لم يستطع وهو يتألم لهذا السبب؛ لأنّ للغير مسألة هامة في تشكيل هويته وموهبا، يعني الأنا، ولكن هو يضيع في الهوية ويتشوش ذهنه. كما نرى يقول: «تصوّرت نفسي ممدداً على الأرض، وجهي نحو السماء والدماء تنزف من يدي على شكل نافورة قوية، لا أشعر بأية آلام تلك اللحظة. حالة من الخدر اللذيذ، من التعب الممزوج بالتلاشي، ثم فجأة، تبدأ النافورة تتقلص، وعيناي اللتان كانتا تطلان على السماء الواسعة ترتخيان، ثم تنطفئان...» (المصدر نفسه: ١٥٠).

الدال والمدلول في الواقع هما العلاقة التي تنشأ بين الفرد ومجاله. ونرى في الرواية: «مرّت في رأسي موجات متوالية مضطربة من الأفكار والذكريات. قلت بتسليم دليل:

الهيمنة... العلة التي تربض في دمي!

وتمطت كلمة الهزيمة في حلقي، في ذاكرتي قلت بتحد:

وأنت ، أيها الفارس، تقاوم الآن الهزيمة!

و رفرت الملكة في ذاكرتي: صوت الماء، صوت الأجنحة، صوت الريح، كان الفرع ينفر من دمي، من عروقي، كالنار. قلت بسخرية: إذا كانت البطة أفزعنتي هكذا فكيف لو واجهت نسرًا؟ جبلاً من جليد؟». (المصدر نفسه: ١٥٢).

الراوي يؤكد على أن للإنسان أحاسيس ويجب على المجتمع أن يراها مؤثرة على هويته و على الغير في المجتمع. يرى نداوي نفسه مسؤولاً بصفة بدل الراية أمام المجتمع ومستقبله فيقول: «لم يبق أمام زكي نداوي إلا أن يلبس عمامة ويخطب الناس، أصبحتُ حكيمًا، ويجب أن أفقأ عيني لأصبح حكيمًا أعور...» (منيف، ١٩٧٦: ١٥٤). والبطل أحياناً يرتبط بالصيد ويكلمه ولكن زكي يخفي أهدافه عنه وكان ارتباط زكي مع الصيد عن بعيد ولا يتقرب منه ولا يقول له أسراره والصيد هو الغير الذي يعني «الأنا» في هويته، وهو لا يريد أن يتصل بالآخرين وبيتعد عنهم ولا يبوح بأسراره إلى الغير ويقول: «الإنسان... ما هو الإنسان؟ هو العادة، والعادة هي التي تخلق كل شيء... تجعل واحداً صياداً وواحداً يكره الصيد!

بدا في وجهه التردد، كأنه لا يريد أن يتابع.

قلت أحرضه:

الصيد أكثر من عادة... سوسة، مرض...» (المصدر نفسه: ١٦١).

هو في هذا النص يتكلم مع الصيد ويستشير على الصيد ولكن يرتبط معه عن بعيد ولا يقترب منه ولا يكلمه عن الطير الذي يصوره في ذهنه. يربط الراوي القارئ بالماضي من شخصية البطل ويؤكد للقارئ على أن هوية الشخص نصفها تتشكّل من الماضي والحوادث التي جرت في الماضي، وزكي اعتمد في الماضي على الغير وما وصل إلى آماله، وهو الآن متألم جداً ولا يعتمد على الغير؛ فنرى أن زكي يتكلم مع الصيد ويقول: «قلت:

أصعب شيء أن يتحدث الإنسان في أمور لا تهتم الآخرين ...

وإذا تحدث يظنونه مجنوناً، صغير العقل!

كما قلت ياعم... الصيد سوسة!

أكثر من سوسة، لكن أحسن من أشياء كثيرة في هذه الدنيا...» (المصدر نفسه: ١٦٣).

٤.٥. الجسر وثنائية الأنا والغير

الراوي يقصد من الجسر مقاصد أخرى والجسر هو عامل ارتباطي بين شيئين أو شخصين أو عمليتين ويرتبط «الأنا» و«الغير». وفي قصة حياة زكي نداوي لم يصل الراوي إلى هذا الأتصال الذاتي ولم يستطع أن يرى حقائق وجوده والراوي يبين للقارئ أن وراء الجسر والوصول إلى الجسر في المجتمع أساس الوصول إلى الأهداف في الحياة. زكي نداوي يضع هويته بين آماله وذهنه وتخيلاته. تم سرد القصة على لسان «زكي نداوي» والقارئ حاضر في كل مكان ولكنه غير مرئي. ومن نماذج هذه الرواية: يقول زكي: «لوعبرت الجسر لوصلت. وفكرت أن أصل؟ أن أصل لماذا؟ قلت أحاطب وردان ونفسي والأحجار وكل شيء، لا يمكن أن اسلم...» (المصدر نفسه: ١٦٤). وفي موضع آخر يقول زكي: «فكرت بالجسر اللعين، بالهزيمة. قلت لنفسى: الجسر مأساة وسيبقى كذلك حتى أموت! ضربت بقدمي الأرض كانت ضربة قاسية وعابثة، حاولت خلالها أن أخلص الحذاء من كتل الطين، ولكنني في الحقيقة كنت أحتج بطريقة ما!» (منيف، ١٩٧٦: ١٦٥) ويتواصل كلامه ويقول في تتمته «أيها النهر الذي احببت أن اعبره، ولم استطع، كيف أنت؟ فكرت، لماذا لم يتركونا نعبر؟ لماذا لم يتركونا نفعل شيئاً بصفتي، قلت: أيها النهر... أنت موجود دائماً... وإذا سرقوا ذاك الجسر فسوف نبني غيره، لا تخف» (المصدر نفسه: ١٨٨). ونرى البطل يعيش في الماضي وهويته الضائعة. المكان في الرواية هو المستنقع الذي يشبهه الراوي بالمجتمع الإنساني الذي تكون الطيور فيه كالإنسان ولكن أعمالها مختلفة عن الإنسان وهذا المستنقع يمكن أن يؤثر على الغير تأثيراً سلبياً أو إيجابياً والمجتمع هكذا.

٤.٦. «وردان» وثنائية الأنا والغير

كان «وردان» كلب البطل «زكي» وهو الصديق الوحيد الذي يثق به تماماً وفي كل أرجاء الرواية يكون مع زكي نداوي وهو يشاوره ويكلمه ويصارعه أحياناً ولكن الكلب لم يشك قط ويعمل أوامر صاحبه، على سبيل المثال عندما يقول له زكي: «سأقطع ذيلك يا وردان و اجعله قلادة، ماذا تقول؟

إحتك بساقي، دار حولي، لكن لما رأني أهمه بلعنات يائسة، ابتعد و...» (المصدر نفسه: ٩).

ارتباط زكي نداوي بوردان هو الإرتباط بالغير، وزكي يقول أشياء غير مرتبطة و لعل أشخاص المجتمع لايقبلون كلامه ولكنهم أخذوا وردان كصديق لهمم ويرون أنه يقبل كل كلامهم. إن الفرد جزء من المجتمع وهو يتشكل حياته الإجتماعية من التعقيدات في الشكل والمضمون ويصبح الفرد أكثر استقلالية مما سبق. والراوي يستخدم شخصية وردان ويريد أن يبين للقارئ أن في المجتمع أشخاصاً ينفذون أوامر الغير دون وجود إرادة أو اختيار لهم، وهؤلاء بدون الهوية وهم يمشون وراء الغير، وهذه الشخصيات ليس لها أهداف خاصة وتنفيذ أوامر الغير هو هدفهم الخاص في حياتهم ونرى في الرواية نداوي يتكلم مع وردان ويقول له: «لا أفكر لحظة واحدة في اهانتك ياوردان ... لا... لم أقصد ذلك أبداً. أنت تعرف كم أحبك، لكن الأفعى الطائرة جعلتنا عمياء ... أتتذكر كيف خفقت بأجنحتها؟ أنت لا تتذكر أبداً إسمع ارتجت أول الأمر ثم امتلأت زهواً، ثم ركعت فوق الماء وربما اطلت إلى الخلف قليلاً... وأخيراً مدت أجنحتها في الهواء ... وأنت ... تدلى لسانك لما رأيتها. كما لو انك ترى كلبة، كانت اعظم كلبة في هذه الدنيا... أتتذكر؟» (المصدر نفسه: ١٩١). زكي يخاطب وردان كصديق له ويطلب منه أن يأتي معه في كل مكان ولا يشتكي إليه ولا يرد على كلامه ويقبل كل شيء، وزكي يريد أن يحكم على الأشياء والغير، لأن هويته ليست كاملة وهو ضاع هويته.

هناك شخصيات كثيرة مثل وردان في المجتمع. فالراوي يريد أن يبين لنا أن هوية هؤلاء الأشخاص لم تستكمل ولا يرون الحرية في حياتهم وليست لهم آمال في الحياة ولا يستطيعون أن يؤثروا على المجتمع تأثيراً ايجابياً ونرى في الرواية «كان أبي حكيماً يا وردان لا تهز ذيلك كأفعى. قال أبي إن الإنسان داهية بين مخلوقات الله جميعاً. أنا داهية حليق الرأس، يا وردان. أما أنت فتبقى كلباً محموم الجسد. أتعرف ماذا أريد منك؟ أن تتحول إلى حجر...» (منيف، ١٩٧٦: ٢٩). زكي نداوي يتأثر بأبيه ويرى أن كلامه في الحياة صحيح، ويتأثر به، وهذا التأثير واضح في هويته، وهو لايقبل آراء الآخرين و يقبل أفكاره وخيالاته الذهنية فقط، يقول زكي: «أحب الكلاب وأحب أن يرافقتي حتى النهاية!» (المصدر نفسه: ١٦٥).

القلق الذي كان في قلب الشخصية يؤثر على وردان، والحوادث التي تجري في الرواية هي مصدر القلق فيها، وحتى يؤثر على ذهن القارئ، نرى نموذجاً من القلق في الرواية عندما يقول: «آه يا وردان... إن في الإنسان شيئاً يستعصى على الفهم، ربما كان الناس في الأماكن الأخرى لا يشبهون

الناس عندنا، لكن اسمح لي أن أسألك ويجب أن تجيب: هل تفعل الحيوانات والطيور وأية مخلوقات أخرى مثلما يفعل الناس في بلادنا؟ إذا لم تفهم جيداً يمكن أن أسألك بطريقة أخرى: لو أنّ سرباً من الطيور قطع الصحراء كلها، وكاد يصل إلى غيضة ورأى الصيادين هل يفكر بالرجوع ليموت في الصحرا؟» (المصدر نفسه: ١٧٤). وبعض الأحيان نشاهد زكي نداوي يريد الموت لنفسه ويقول: «قلتُ بصخب:

ليأت الموت. أحمله على كتفيك يا وردان ... آه لو أصبحت نسراً يحمل الموت من الأماكن البعيدة، فنحن بحاجة إلى كمية ضخمة جداً من الموت! وتصورتُ الموت، حالة من الراحة الكلية سكوتاً أبدياً يشبه الحجارة وبقايا الأصداف وجذوع الأشجار قلتُ بثقة: نحن لانستحق الموت... الموت أكبر منا ولا يمكن ان نصله بسهولة!» (المصدر نفسه: ١٥٤).

٤.٧. الطير الخيالية وثنائية الأنا والغير

يريد زكي نداوي أن يحرّر نفسه المتألمة من قيود الجسر الذي لم يصل إليه، وهو يأسر نفسه في باطنه متردداً ومشوشاً ويتأثر بتخيلاته وذهنياته ويرى أنّ له هدفاً وهو صيد طير خيالي، وهو يفكر في نفسه إذا صاده فذهب كل التشوش في حياته، وهو يستخدم الطير كغير الذي يريد أن يصل إليها ويقول: «ماذا أريد من هذه المخلوقات البذيئة؟» (المصدر نفسه: ١٠). الراوي يستخدم العبارات والكلمات التي تؤثر على جاذبية القصة وهي القوة الجاذبة و الفكر والأحاسيس في ذهن زكي نداوي و هذه القوة تنمو في هويته وهي القوة النامية والقوة المولدة، هي الآثار لهذه الأحاسيس في باطن الشخص وزكي يحاول أن يصل إلى تخيلاته ويُشفي آلامه ولكن المجتمع أمامه وهو ضائع الهوية.

يذهب زكي نداوي إلى المستنقع كل يوم وينتظر الطير ليلاً ونهاراً ويتحمل حوادث الخوف والقلق والطين والرطب الذي في المستنقع وهو ينتظر رجوع هويته ونرى في الرواية: «كانت الريح تشتد، أما السماء فكانت تختنق تدريجياً بالحمرة القائمة و تتداخل بالأفق الآخر ثم تصبح جزءاً منه ... وفوق كل الأشياء انتشرت رائحة السماء الرطبة المزدهمة المليئة بتوقع ما. قلت لآله مجهول، لا أعترف له بأي سلطان:

في الماضي حكمت كل شيء ... والآن ... أنا الذي سأحكم. اخلق بقدر ما تشاء ... وسأقتل، حتى إذا التقينا وتواجهت أعيننا، فسوف تعرف أن الإنسان أقوى من كل المخلوقات، ليس أقواها فقط، بل أشرها!» (منيف ١٩٧٦: ١٢).

يرى زكي أن الإنسان أقوى من كل شيء والإنسان هو الذي يشكل «الأنا» في وجوده ويرى أن «الغير» يحكمون بعضهم على البعض وهكذا تتغير الهوية الإنسانية بكاملها. وأحياناً يرى زكي الطير في حالة الذهاب والإياب بسرعة والراوي يريد أن يوضح لنا أن الفرصة في الحياة كالطير التي تأتي وتذهب بسرعة ويجب على الإنسان أن يصطادها وهذه الفرصة تؤثر في هوية الشخص «الأنا» وهذه الهوية تؤثر على الغير والإرتباط مع الغير في المجتمع هو المكان الهام الذي كل شخص يؤثر عليه ويتأثر به وبعض الأحيان تكون هذه الصلة بالآخرين إيجابية وبعض الأحيان تكون سلبية. زكي نداوي يتأثر بالشوق والقلق الباطني وهو يقول: «اليأس ينتشر في روحي كما لو أنه دم آخر... ولكن كيف تسرب إليّ هذا الشيء الذي حاربتة طوال سنين؟... قلت لنفسي بيأس: أنا لا أعرف شيئاً البتة... وتذكرت عندما خفقت بأجنحتها وأعطت نفسها للريح. صرخت بذل:

يا عود النرجس المهجور يا زكي.

وأتذكر أنني ابتسمت وقلت لنفسي بسخرية: نرجس؟ أي نرجس؟ أنت عود المزابل يا زكي. أنت لست صياداً، أنت أبله في ثياب متسول، لا تسمع ولا تفهم أبداً، كما لا تجوز عليك الصدقة!» (منيف، ١٩٧٦: ١٢ و١٣). كان زكي يلوم نفسه دائماً وأحياناً يتكلم مع نفسه وهو متألم ويتذكر الماضي قائلاً: «وبدأت أتذكر من جديد، التهبت الدماء في عروقي وغام كل شيء، وفي تلك اللحظة سلمت جناحيها للريح. كنت أفكر بالجسر والهزيمة... قلت لنفسي: لم تكن طيراً و لم أر في حياتي مثلها» (المصدر نفسه: ١٤). يصف زكي المستنقع ويقول: « وبدأت استعيد خطوات الأمس الخائبة، عيون مهترئة تنظر إلى الداخل، أشجار الحور العارية الضعيفة تقف إلى جانب المستنقع، ناحية الشمال، كأنها مغروسة دون جذور، الماء الأخضر، في النهر المجاور، تسيل طبقتة العليا وحدها... وفجأة ... لا... لم تكن الأمور هكذا! كانت ريح باردة تتخلل الأغصان، تصرخ في أذناها وكانت الطبيعة كلها في معركة صغيرة بأصواتها المتداخلة المبهمة، حتى لتصبح دويّاً

صامتاً» (المصدر نفسه: ١٥)، يلجأ زكي إلى الطبيعة، وهو يقطع صلته بالمجتمع و يذهب إلى الطبيعة للوصول إلى أهدافه وحالته متشوش الذهن.

٤.٨. المجتمع وثنائية الأنا والغير

يؤثر الغير على تضييق إطار الأشخاص، فيدلّ مفهوم الحرية في معناه الفلسفي على قدرة الفرد على اختيار غاياته وسلوكاته وفق إرادته الخاصة، دون تدخل عوامل تؤثر في تلك الإرادة. إن الحرية بهذا المعنى تقتصر على الإنسان وحده. غير أن هذه الحرية التي تضع الإنسان فوق الكائنات الأخرى، تبدو متعارضة مع مبدأ الحتمية الذي يخضع له كل وقائع المجتمع والأشخاص الذين ينمون فيه ويتأثرون من الآخرين، في الواقع هم الذين في المستقبل الجماعي يؤثرون على الجيل القادم، والراوي يؤكّد على هذه المسألة تهتم بالإنسانيه اهتماماً جاداً.

يتذكر زكي الأيام التي مضت وهو كان مع أصدقائه يصنعون الجسر وكلهم يرجون الحرية بواسطتها في المستقبل ولكن تنفيذ أوامر الرئيس وقبولها ينمو اليأس في قلوبهم، وهكذا يؤكد الراوي على صلة الغير وهم يؤثرون على المجتمع البشري كما نشاهد في الرواية: «قلتُ لنفسي: أين أصبح الرجال الآن؟... لو أستطيع سحب العصب من خصيتي... لو فعلتُ ذلك لشعرت بالراحة يجب أن أنتقم من نفسي. كنت خائراً، مسلوب الإرادة... ليس هذا فقط، حتى التفكير كان صعباً بالنسبة لي... آه لو فكرت!» (منيف، ١٩٧٦: ١٨٥). «الأنا» أو الهوية التي يمكن للفرد أن يعرف نفسه عن طريقها، في علاقته بالجماعة الإجتماعية والثقافية التي ينتمي إليها، باعتباره منتبهاً إلى تلك الجماعة ونشاهد نموذجاً من الرواية: «قلت لوردان: سأقطع يدي ذات يوم وأدونها لأنها زائدة وعاجزة. فكرت: اليد أداة. الجسر أداة أكبر. العجز ليس في اليد ولا في الجسر، انه هناك... داخل النفس والإنسان إذا استطاع أن يبني العجز في داخله يتحول إلى مخلوق عجيب. قلتُ بحدة: الإنسان أكبر قوة في الكون، وهذه القوة ليس لها حدود!» (المصدر نفسه: ١٨٤).

يريد الراوي إيجاد العدالة في المجتمع، وهذه العدالة تأتي من ارتباط «الأنا» مع «الغير» و«الغير» يؤثر على «الأنا» كثيراً، وهذا التأثير أحياناً إيجابياً وأحياناً سلبياً. الرواية متشكلة من المعارف والتصورات والممارسات الفكرية لدى الإنسان في محيطه الاجتماعي، والتي تلقاها

لمصلحته ولمصلحة هذه البيئة. نرى من هذا النموذج في الرواية: يقول زكي: «وعلى الطريق الطويل الموحد، فكرتُ بتعاسة الحياة، ببلاحتها، بغبائها، ودون أن أدري سقطت في بركة مليئة بالطين. وقفت بتسليم أخرس ذليل. نفضت قطع الماء عن ساقى... امتلأت راحتي بذلك اللون الكامد... قلت بتعاسة: يجب أن تفكر بتعاسة حياتك يا زكي ... ببلاحتها، بغبائها... أما الحياة الحقيقية فإنها أبعد ما تكون عن هذه الكلمات التي تطن في أذنيك كأجراس كنيسة ريفية» (منيف، ١٩٧٦: ١٣٢). نشاهد الهوية في كل شيء وهي صفات وأحاسيس وغط الحياة، هي في كل شيء، في الملابس والمأكل والموسيقى والفن والثقافة والحرية والمقاومة و الصمود، يمثل الروائي الإنسان في روايته يتأثر بكل شيء في هويته كما نرى في الرواية: «ما أعجب الإنسان، وما أعظمه. شعرت بغبطة حقيقية، حتى كدت أصرخ وأقبل الأرض، لكنها بجبروتها القاتل ظلّت تتقدم ولا ترضى أن تترك لإنسان شيئاً... لحظة أن يقول أو يفعل ما يترنح في ذاكرته من أفكار وأحكام» (المصدر نفسه: ١٩٥).

٥. النتائج

نستنتج في هذا المقال أن لعبد الرحمن منيف أفكاراً لحرية المجتمع من الأنا والغير و يؤكد على النفس البشرية التي يجب أن تكون حرة في أعمالها. مسألة «الأنا والغير» من المسائل الهامة والخطيرة في المجتمع التي نشغل بها دائماً ويعرف الراوي وثيقة «الغير» في المجتمع. حيث أنها هي القاعدة التي يرتكز عليها إعداد الناشئين للمراحل التالية من حياتهم، وعامة تشتمل كل المجتمع، ويعبر الكاتب في النص الأدبي الروائي عن أحاسيسه باللغة التي يسعى من خلالها إلى التأثير في نفس القارئ والهوية الإنسانية التي تتشكل من نشاطات مختلفة ومتنوعة وهي فكرية، ومادية، وفنية وعلمية، ويؤكد الروائي أن الإنسان عاجز عن العيش إذا انعزل عن الجماعة، وهذا ما دفع به إلى العيش داخل المجتمع بفضل روح الترابط وهويته الإجتماعية، وهي خاصية جوهرية يتميز بها الإنسان عن الأنواع الأخرى من الكائنات، كما يتميز البشر بالاهتمام المتبادل ببعضه البعض مما جعل مجتمعه قابلاً للتغيير بشكل مستمر، والدليل على

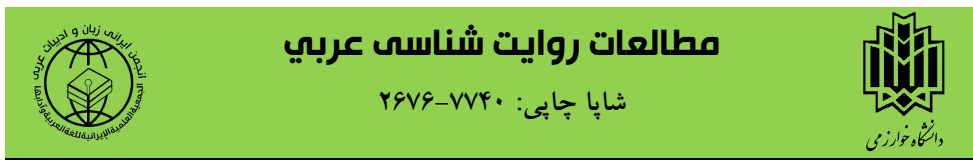
ذلك، قدرة الإنسان على خلق مجتمعات متنوعة، ونرى الهوية تتشكل من وجود «الأنا والغير» معاً، وهي سلبية أو إيجابية، وتؤثر على المجتمع والجيل القادم.

المصادر والمراجع

- اسطيطو، عبد الرزاق (٢٠٢٠) «صورة المثقف في روايات عبد الرحمن منيف»، صحيفة المثقف العدد: ٤٨٨٨.
- بنيامين، والتر (١٣٨٩) عروسك و كوتوله، ترجمه مراد فرهادپور و اميد مهرگان، تهران: نشرگام نو.
- توکلی، نیما (١٣٩٢) دریدا و پرسش از دیگری، پایان نامه کارشناسی ارشد، دانشگاه بین المللی امام خمینی (ره) قزوین.
- جماعة، محمد (٢٠١٢) الهوية المتعددة الأبعاد، تونس: دار المشهد.
- الخطيب، حسام (١٩٩١)، سبيل الموثرات الأجنبية وأشكالها في القصة، دمشق. مطابع الإدارة السياسية.
- دریدا، جاك (١٣٨٩) بنيامين و نقد خشونت، ترجمه امير هوشنگ افتخاری راد وديگران، تهران: نشر رخداد نو.
- دريدي، محمد رشدي عبد الجبار(٢٠١٠) أطروحة «النص الموازي في أعمال عبد الرحمن منيف الأدبية» الأستاذ المشرف الدكتور عادل الأسطة بجامعة النجاح الوطنية في فلسطين.
- الشريف، سمير (٢٠١٩) «الهزيمة والمثقف المسخ وقفة مع شخصية رواية حين تركنا الجسر» موقع الجسرة الثقافي بمصر.
- مارتن، والاس (١٩٩٨) نظريات السرد الحديثة، ترجمة حياة محمد جاسم، المجلس الأعلى للثقافة.
- ماكوري، جون (١٩٨٢) الوجودية: ترجمة إمام عبدالفتاح أمام. الكويت: عالم المعرفة.
- ملايرى، يدالله ومجتبى عمرانى پور (٢٠١٩) «فضاء المقهى في الروايتين الفارسية والعربية؛ أحمد محمود وعبدالرحمن منيف نموذجاً»، مجلة إضاءات نقدية في الأدبين العربى والفارسى بجامعة كرج دوره ٨، شماره ٣٢، صفحه ٧٠-٩٠.
- ملكيان، سميه (١٣٩١) خود و دیگری در آثار فيروزه دوما، پایان نامه کارشناسی ارشد، دانشگاه آزاد اسلامی واحد تهران مرکزی.

References

- Istitou, Abdel-Razzaq (2020) «The image of the intellectual in the novels of Abdel-Rahman Munif», the newspaper of the intellectual number: 4888.
- Benjamin, Walter (1389), *Your Bride and Kotohah*, translated by Murad Farhadpur and Omid Mehran, Tehran: Nashargham no.
- Tawakulay, Nima (1392) *Derrida and Parshesh Dagri*, Pianghnam Karshnyarshid, Danshpah Bin al-Mully Imam Khomeini (may God bless him).
- Group, Mohamed (2012) *The Multidimensional Identity*, Tunisia: Dar Al-Mashhad.
- Al-Khateeb, Hussam (1991), the path and forms of foreign influences in the story, Damascus. Political management presses.
- Derrida, Jaak (1389) *Benjamin and criticism of Kheshunt*, translated by Amir Hoshin, Iftikhari Rad and Dagrah, Tehran: The publication of Rukhdar Nu.
- Deridi, Muhammad Rushdi Abdel-Jabbar (2010) thesis “Parallel Text in the Works of Abdul Rahman Munif Literary” Professor Supervisor Dr. Adel Al-Osta at An-Najah National University in Palestine.
- Al-Sharif, Samir (2019) “Defeat, the Deformed Intellect, and a pause with a novel when we left the bridge.” The Egyptian Cultural Bridge website.
- Martin, Wallace (1998) *Modern Narrative Theories*, translated by the life of Muhammad Jasim, Supreme Council of Culture.
- Macory, John (1982) *Existentialism*: Translated by Imam Abdulfatah Imam. Kuwait: The World of Knowledge.
- Billionaires, Evidence and Mujtaba Omrani Pour (2019) “The Café Space in the Persian and Arabic Narratives: Ahmad Mahmoud and Abdul Rahman Munif as a Model” *Journal of Critical Illuminations in Arab and Persian Literature at the University of Karaj Dora* 8, Shamara 32, pp. 90-70.
- Malikyan, Sumayyah (1391) *Khud and Deirri*, the monuments of Ferozeh Duma, Pianangnamah Karshnaizharshd, Danshgah Azad, Islami, and one Tehran Central.
- Munif, Abd al-Rahman (1976) “When we left the bridge,” Beirut: Arab Institute for Studies and Publishing.
- (1993) «Author and exile» articles and interviews and interviews, Beirut: Dar new thought.
- Nasayi, Sumayyah (1389) *Jaydah Dairi Dar Rumman*, combined by Barzakh, Iqianos Aram, following Machel Turney, Phayanghnam Karshnasi-Arshad, Daneshgah, Shahid Kamran Ahvaz.



بررسی خود و دیگری در رمان «حین ترکنا الجسر» اثر عبدالرحمن منیف

مهرداد آقایی رایانامه m.aghaei@uma.ac.ir

استادیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه محقق اردبیلی، اردبیل، ایران. (نویسنده مسئول)

عفاف داغری رایانامه afafdagery@gmail.com

کارشناس ارشد زبان و ادبیات عربی از دانشگاه محقق اردبیلی، اردبیل، ایران.

چکیده

موضوع «خود و دیگری» یکی از مباحثی است که ما قصد داریم در رمان «حین ترکنا الجسر» اثر عبد الرحمن منیف مورد بررسی قرار دهیم. سارتر و دریدا از جمله افرادی هستند که در این زمینه صاحب نظر می‌باشند. موضوع «خود و دیگری» از جمله موضوعاتی است که در اصل از دامان فلسفه نشأت گرفته و رشد کرده و در زیر سایه‌ی آن به تکامل رسیده است، سپس شاخه‌های دیگری از دانش پس از آن به وجود آمده‌اند تا از این سایه‌سار بهره‌مند شوند و در آبیاری این درخت سرسبز و درخشان از زیبایی‌شناسی سهیم باشند و شاخه‌های جدیدی به آن بیفزایند. رشد این درخت فلسفی به شکل طبیعی نبود و در طول تاریخ در چندین دوره اتفاق نیفتاد، چه‌بسا عوامل اجتماعی، فرهنگی و سیاسی زیادی مانع این رشد یا باعث تأخیر در آن شدند و چه‌بسا این عوامل نیز سعی در ریشه کن کردن این درخت از ریشه هایش داشتند، اما این درخت پس از آن دوباره به شکل‌های مختلف رشد خود را ادامه داد، چه‌بسا با قدرتی بیشتر و با شکوفایی بهتر، هر چند که مدت رکود و اختفایش طولانی شد، دلایل این بود که آن یکی از بارزترین مظاهر بیانگر ویژگی گونه‌های انسانی بود که انسان را از سایر موجودات متمایز می‌کرد. عبدالرحمن منیف در این رمان از مبحث «خود و دیگری» در ورای شخصیت و حوادث رمان استفاده می‌کند تا حقیقت اشیاء را به شکلی نمادین به ما نشان دهد. وی به دنبال هویت و آزادی اجتماعی در آینده جامعه خود است.

کلیدواژه‌ها: روایت شناسی عربی، رمان عربی، خود و دیگری، حین ترکنا الجسر، عبدالرحمن منیف.

استناد: آقایی، مهرداد؛ داغری، عفاف (پاییز و زمستان ۱۳۹۸). بررسی خود و دیگری در رمان «حین ترکنا الجسر» اثر عبدالرحمن منیف. مطالعات روایت شناسی عربی، (۱۱)، ۲۱۰-۱۸۶.

مطالعات روایت شناسی عربی، پاییز و زمستان ۱۳۹۸، دوره ۱، شماره ۱، صص. ۲۱۰-۱۸۶.

دریافت: ۱۳۹۸/۹/۱۰ پذیرش: ۱۳۹۸/۱۱/۸

© دانشکده ادبیات و علوم انسانی دانشگاه خوارزمی و انجمن ایرانی زبان و ادبیات عربی